



كلمة

الدكتورة مارغريت تشان
المديرة العامة لمنظمة الصحة العالمية

في

الدورة الحادية والستين للجنة الإقليمية لشرق المتوسط

تونس، الجمهورية التونسية، 19-22 تشرين الأول/أكتوبر 2014

سيدي الرئيس، أصحاب المعالي، الوفود الكرام، الدكتور علاء الدين العلوان، السيدات والسادة،

إن المرحلة التي نعيشها اليوم ليست سهلة، لا للعالم ولا لأي دولة في أي من أقاليم منظمة الصحة العالمية، وليس أدل على ذلك من عناوين الأخبار المتداولة كل يوم تقريباً.

فهناك الصراعات، والعنف الدائر بلا معنى، والكوارث الطبيعية والكوارث التي من صنع الإنسان، والتغير المناخي، والإخفاق المتكرر لمضادات الميكروبات.

كما يتواصل ظهور حالات متفرقة لفيروس كورونا في هذا الإقليم، فضلاً عن التزايد في حصص الأمراض غير السارية المزمنة لأرواح الشباب. ولسنا بمنأى عن التهديد المتواصل الذي تفرضه الأمراض المعدية الجديدة والمنبثقة.

وفي الأيام القليلة الماضية فقط، جاءتنا من عالم الميكروبات السريع التغير رسائل صارمة ليدكرنا بقوته. فقد أكدت مصر ظهور إصابة لطفل رضيع بفيروس إنفلونزا الطيور H5N1. كما أبلغت النمسا عن أول إصابة لديها بفيروس كورونا.

وأكدت الولايات المتحدة أيضاً أول حالة إصابة بفيروس إيبولا لأحد المسافرين القادمين من ليبيريا، ثم حالة أخرى لأحد أفراد طاقم التمريض الذي شارك في معالجته. كما تأكدت حالة عدوى ثانية بين العاملين بالرعاية الصحية يوم الأربعاء الماضي.

كما أكدت إسبانيا أول حالة لسراية فيروس إيبولا على أراضيها.

وفي الوقت ذاته، تم عزل ما يزيد على 90 أوغندياً الشهر الماضي، معظمهم من العاملين بالمستشفيات، لمراقبتهم عقب وفاة إحصائي أشعة يوم 28 أيلول/سبتمبر جراء الإصابة بحمى ماربورغ النزفية في أنغولا.

ولكن دعويي أبدأ بأمر إيجابي.

وهو أن وزارات الصحة في هذا الإقليم محظوظة، وأرى يقيناً أن مديركم الإقليمي يقودكم في المسارات الصحيحة.

بل أقصد مسارين، وهما تحديداً: التركيز القوي والدائم على تقوية البنى الأساسية الصحية، والحاجة لاستكمال مهمة استئصال شلل الأطفال.

وكما يرى العالم بأسره حالياً، فإنه من دون البنى الأساسية للصحة العمومية، لا يمكن لأي مجتمع أن ينعم بالاستقرار، ولا لأي فئة سكنية أن تحظى بالأمان.

ولا توجد دولة لديها القدرة على تحمل الصدمات المتعددة، بتواترها وقوتها المتزايدتين، التي تتسبب فيها مجتمعاتنا في القرن الحادي والعشرين، سواء كان ذلك بسبب ظواهر مناخية شديدة في ظل مناخ آخذ في التغير، أو الصراعات المسلحة، أو الاضطرابات الأهلية، أو الانتشار المميت والمفرغ للفيروسات الذي يخرج عن نطاق السيطرة.

ففاشية إيولا التي تعصف بأجزاء من غرب أفريقيا سيكون لها أثر أسوأ بكثير قبل أن يتحسن الوضع. ولا يزال المسؤولون الصحيون يتسابقون من أجل اللحاق بهذه الفاشية السريعة التغير التي تواصل مفاجأتها.

فهي مسألة ذات أبعاد متعددة لم يُر لها مثيل في تاريخ هذا المرض الذي امتد طوال 38 عاماً.

ولكن دعويي أخبركم بشيء إيجابي بين كثير من هذه الأمور المفجعة.

عندما انتقل فيروس إيولا إلى لاغوس، نيجيريا، في العشرين من تموز/يوليو، انتفض المسؤولون الصحيون في ترقب لأمر كان شبه مؤكد أنه بداية لأسوأ السيناريوهات المزعجة التي يمكن لنا جميعاً أن نتصورها.

إن مدينة لاغوس هي أكبر المدن الأفريقية من حيث السكان، وأكثرها سيولة وافتقاراً للتنظيم، إذ يقطنها 23 مليون نسمة يتنقلون باستمرار منها وإليها.

وقد توقع الجميع انفجاراً مدوياً في عدد الحالات التي يُرجح أن يكون من الصعب جداً السيطرة عليها.

وذلك لم يحدث مطلقاً. ففي الواقع، سوف تعلن المنظمة غداً، بكل ثقة، أن فاشية إيولا قد انتهت، وأن الفيروس قد احتفى، وأن الفاشية قد دُحرت.

فما الأسباب وراء هذه الأخبار الرائعة؟

إنه برنامج شلل الأطفال. فنيجيريا تنفذ واحدة من أكثر حملات استئصال شلل الأطفال ابتكاراً، إذ تستفيد من أحدث التكنولوجيات الرفيعة القائمة على الأقمار الصناعية لضمان عدم إغفال أي طفل دون تطعيم.

والبلد يسير على الطريق الصحيح تجاه استئصال شلل الأطفال من مناطقه الحدودية قبل نهاية هذا العام.

وعندما تأكدت أول حالة إصابة بالإيولا، قام المسؤولون الصحيون على الفور بتكليف الغرض من التكنولوجيا والبني التحتية المستخدمة في استئصال شلل الأطفال للاستفادة منها في اكتشاف حالات الإصابة بالإيولا وتتبع المخالطين لها.

وهذه قصة جيدة من قصص الصحة العمومية التي شهدت منعطفاً غير معتاد في نهايتها.

والعديد من البلدان الثرية لديها أفراد الآن في نيجيريا، يبحثون التكنولوجيا "المصنوعة في نيجيريا" بدعم من منظمة الصحة العالمية، لتعزيز قدراتها في مجال تتبع المخالطين تحسباً لحدوث أي حالة وافدة.

وهذه القصة تحمل رسالة أخرى شديدة الوضوح.

وهي، إذا كان باستطاعة نيجيريا، التي تقيدها مشاكل أمنية خطيرة، أن تفعل ذلك، أي أن تستأصل شلل الأطفال وتحتوي الإيولا، فإن أي دولة في العالم قادرة على فعل الأمر ذاته.

وأنا على علم بأن المدير الإقليمي سوف يطلعكم على آخر المعلومات حول الوضع شديد الخطورة لشلل الأطفال في باكستان.

وفي ما يتعلق بالإيولا، فإن العالم حقاً متيقظ على نحو يثير الإعجاب، وتشهد على ذلك الإنذارات الكاذبة التي تأتينا كل يوم تقريباً من المطارات وغرف الطوارئ، وأيضاً في بلدان من هذا الإقليم.

ولكن العالم أمامه شوط طويل ليقطعه في ما يتعلق بالتأهب.

وأقول مجدداً، إنه الإخفاق ذاته الذي يخشاه المدير الإقليمي بدرجة كبيرة.

عندما يخرج رؤساء دول ورؤساء وزراء في البلدان غير المتضررة بتصريحات حول فاشية الإيولا، فإنهم يُرجعون انتشارها وشدتها غير المسبوقين، وهم محقون في ذلك، إلى "الإخفاق في تفعيل البنى الأساسية للصحة العمومية".

وأنا أوافق على ذلك. ولطالما أكدت، منذ أول يوم لي في مناصبي، على الحاجة الملحة إلى تقوية النظم الصحية.

فالنظم الصحية، كان نصيبها الإهمال لعقود متعاقبة من الزمن. وترتفع كثيراً قابلية تأثر السكان بأي نوع من الصدمات الحادة، الناتجة أيضاً عن تغير المناخ، على نحو مخيف حول العالم.

ومرة أخرى، أقول إن وزراء الصحة في هذا الإقليم محظوظون.

فلديكم قيادة تنير لكم الطريق السديد.

شكراً لكم.